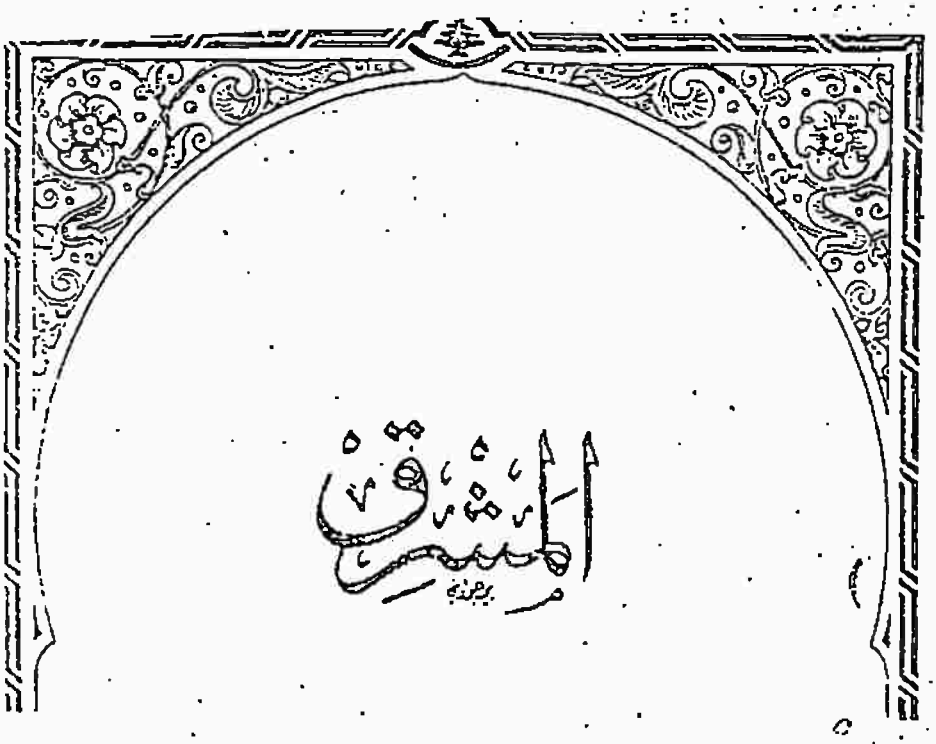

السنة الثانية والاربعون ت ١ – كانون الاول ١٩٤٨

مؤتمر المستشرقين الدولي

الحادي والعشرون

بقلم فؤاد افرام البستاني
مندوب جامعة القديس يوسف

نجمّع فيه كلّ لسنٍ وأمّةٍ فما يفهمُ الحُدّاثَ إلّا التراجمُ

بيالي بيتُ المتنبي هذا، ونحن في صحن معهد العلوم السياسية بباريس، مقرّ المؤتمر الدولي الحادي والعشرين لجماعة المستشرقين، وقد اجتمع الاعضاء والمشتركون في حفلة تعارف تمهيدية. فاختلطت الجاه العالم بعضها ببعض من اقصى الهند، بل من اطراف الصين الى فيلبدلفيا الى واشنطن، الى شواطئ المحيط الهادي، يتعارفون في سبيل تفهم الشرق. لا يهتم في ذلك ابن يبتدئ الشرق وابن ينتهي. وفي قلنا الشرق وذكرنا

المشتغلين بشؤون الشرق علوماً وديانات وحضارات ولغات وسياسات فكأننا جمعنا العالم بأسره . وهكذا كان صباح الثالث والعشرين من تموز الفائت ، اذ تلاقى لا اقل من تسعمائة شخص يشكلون مجموعة نادرة من الاجناس والاعراق والالوان والالبسة واللغات والأشكال . هذه مطارف حريرية بيضاء فضفاضة تجلبب قوام الهنديات المنعم الرشيق حتى الأرساغ ، فتجلو دكنة البشرة على بياض الثوب وزهرة الطرحة ، وتثير فضول الباريسيات اول يوم ، حتى اذا أنسنّ بها بعض الجمال غدون وعليهنّ النماذج المديدة ، على ذوق اتمّ وعلى فنّ آنق . وهذه برانس مغربية من الصوف تُرهق الاجسام العليلة في شهر تموز ، فيشعر الناظر بحرّ قد لا يشعر به اللابس نفسه ، المتهالك في تأمل طبيعة اوربية لكتاب عربي او في محادثة كاهن مستشرق بلغة اقرب ما تكون الى الفصحى . فتتقارب الجبّتان الّا في اللون وتتشابه اللحيتان . على ان من اللحى ما لم يكن وقفاً على الكهنة والشيوخ . فهناك لحى العلماء من الذين نشأوا في القرن التاسع عشر وادركوا اسلافهم على اللحى فاحتفظوا بها رمزاً للعلم والرصانة ، وهناك لحى الشباب المتفنّن بالعلم وبالشعر ، من الذي قد يُقلع عن الملاهي العالمية ، ولا يقلع عن اللهو بعذاره فتارةً مستديراً ، وطوراً محدّداً ، وحيناً إطاراً للوجه المستطيل . وقد يكون الغليون من مشتهيات هذا الشكل الحديث ، كما يكون العطوس وما يرسله من ذرور الذهب الأدكن على اللحى والصدور من مشتهيات الشكل السابق . كما قد تكون النظارات من لوازم المظهر العلمي . منها النظارتان الثابتتان العاديتان ، ومنها النظارات المتنقلة بحركة اليد ، زوج لتصفح الكتب ، وزوج لتصفح الناس ، وزوج ثالث احياناً للنظر الى البعيد ، ومنها النظارة الواحدة (المونوكل) ، وقد تكون فائدتها في ان يُرى بها صاحبها اكثر مما يَرى : وما القول في الآنسات الأثريات ؟ ومنهنّ من يكتفي ، تقشفاً في سبيل العلم ، بالفستان السابغ البسيط . ومنهنّ من لا يحضرن المؤتمر في باريس الّا بثياب الحفريات في مجاهل الصحراء ، ومن لا يمكنهنّ الإقلاع عن التدخين في قاعات المحاضرات ، فيتجاهلن اللغتين الفرنسية والانكليزية ، ويخفين رؤوسهنّ تحت

الطاولات في سبيل اشغال السيكارة . تنوّع في الثياب ، وتنوّع في القبعات ، من البرنيطة العادية ، الى الكاسك الصيفي ، الى الطربوشة ، الى العمامة الى الشاشية الافريقية ، الى الطاقية الصينيّة ، الى الطربوش الى لا شيء . وتنوّع في الألوان من الاصهب الشمالي الى الابيض المشرب حمرةً ، الى الاصفر على اسمرار ، الى ما بين كل ذلك من دقائق الظلال ، واختلاف القسمات . وناهيكم عن تنوّع اللغات ، وتفرُّع اللهجات الى ما لا نهاية له ، تزيدها الكنة المتكلّم الخاصة ، فوق ما يرثه من قومه وبلده ومحيطه ، حتى يصح قول المتنبي ويغدو الحدّاث بحاجة الى تراجم .

وسط هذا الخضم الزاخر بمستشرقي العالم — والذي لم يكن غائباً عنه الّا مستشرقو الألمان والروس . اما الألمان فلم يُدعوا ، وان يكن قد حضر منهم مَن كانوا قد تركوا ألمانية منذ زمن كالدكتور يوسف شخت ، واما الروس فلم يلبّوا الدعوة بل لم يجيبوا عنها . — وسط هذا الخضم ، كان منظّمو المؤتمر على تنقّل دائم ، يوزّعون البيانات ، ويشيرون الى الاعلانات ، ويتومرون بصلة التعارف . وما هي دقائق حتى تكوّنت الحلقات يجمع بين افرادها الاختصاص والرغبة في الاطلاع ، على الرغم من الفروق جميعها .

— اين وصلتم في حلّ هيروغليفيات جبيل ؟

— هل تعرفون عالماً بالمخطوطات الطبية في صنعاء اليمن ؟

— متى يظهر الجزء الثالث من تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ؟

— ارجو ان لا تكون أُصيبت واجهة قصر المشتى بالقنابل الهابطة على برلين ؟

— الا يحضر الاستاذ دوسو المؤتمر ؟ والاستاذ غودفروى ديمومبين ؟ التحول شيخوختها دون التعرّف اليها ؟

وهكذا تتنوّع الاحاديث تنوّع الحلقات . ويطرق سمعي جلبةٌ بلهجة قريبة غريبة ، فاتجه اليها واذا حلقة من شباب تونس الدارسين في باريس يلتفّون حول شيخ مهيب الطلعة ، بارز القامة ، نحيف الجسم ، فاذا رأوني سألوا الشيخ :

ـ ولماذا ، يا باشا ، لا يكون لسائر ابناء الضاد ما للبنانيين من تقدّم في الثقافة ، وسبق في ميادين التجدد ؟

فيجيب الشيخ :

ـ للبنانيين ، يا اولادي ، مستعمرات فسيحة تدرّ عليهم اطاويق الرزق وتوفر لهم ميادين النشاط الفكري والتحرّر الروحي . هؤلاء استعمروا العالم الجديد وبعض العالم القديم ، فأين نحن منهم ؟

وأميل فاشكر لحسن حسني عبد الوهّاب باشا حسن ظنّه بنا ولطف مجاملته ، متمنياً للشباب التونسي كل ما يرجوه من التقدّم والرقيّ . . .

هذه لمحات سريعة على ما تسهّله المؤتمرات العالمية من صلات شخصية واحتكاكات ضرورية هي في اسّ العلاقات العلمية المجدية ، لانه على الغالب يكون لها بما بعدها من تعاوُن فعّال في سبيل العلم .

المحاضرات

اما ابحاث المؤتمر الحادي والعشرين فقد كانت متنوّعة جدًا ، مختلفة الموضوعات حتى الغرابة ، من شواذّ التصريف في بعض الأفعال في اللهجة الفلانية بالهند الصينية مثلاً ، الى احدث المكتشفات في افغانستان ؛ الى عرض جديد لتقييم الاحاديث الاسلامية ، الى قصر الامير بشير . ذلك ان علم الاستشراق يتّسع يوماً فيوماً حتى يكاد يشمل قسطاً كبيرًا من النشاط البشري ، متفرّعاً الى اختصاصيات ودقائق تفرضها المناطق الشرقية المختلفة وما تختص به من عادات وديانات ولغات وحضارات متباينة . وهو ما اهاب بالقائمين على تنظيم المؤتمر فدفعوا الى تقسيمه عشرة اقسام بعد ان كان قسماً واحدًا في ثلاثة فروع ، في اثناء دورته الاولى بباريس ١٨٧٣ وهذه تواريخ بعض المؤتمرات :

المؤتمر الاول	باريس	ايلول	١٨٧٣
« الثاني	لندن	«	١٨٧٤
« الثالث	سان بترسبورغ	«	١٨٧٦
« الرابع	فلورنسة		١٨٧٨
« الحادي عشر	باريس		١٨٩٧

المؤتمر السادس عشر	اثينة		١٩١٢
« السابع عشر	اكسفورد		١٩٢٨
« الثامن عشر	ليدن		١٩٣١
« العشرون	بروسيل	ايلول	١٩٣٨
« الحادي والعشرون	باريس	تموز	١٩٤٨

أما اقسام هذه الدورة فتناولت :

١ — علم الشؤون المصرية
٢ — الدروس السامية
٣ — علم الشؤون الاشورية
٤ — الدروس الايرانية والتركية
٥ — علم الشؤون الهندية
٦ — الدروس الهندوصينية والاندونيسية
٧ — علم الشؤون الصينية
٨ — العلوم الاسلامية بفروعها الاربعة :
أ — القرآن والعلوم الفقهية
ب — التاريخ والادب العربي والفلسفة
ج — اللهجات
د — الفنون
٩ — الشرق والغرب
١٠ — الاتنولوجية

بلغت المحاضرات في مختلف الشعب ٢٦٧ محاضرة ، انتسب الاساتذة الذين ألقوها الى ٧٤ مدينة . فكان المحاضرون من اساتذة باريس ٦٥ ، ومن اساتذة القاهرة والمستشرقين المقيمين فيها ١٨ ، ومن لندن ١٣ ، ومن روما ١٢ ، ومن بروسيل ٨ ، ومن ليدن ٧ ، ومن بيروت ٦ . وتكلم خمسة اساتذة من كل من المدن الآتية : أنجه ، بودابست ، رباط ، القدس ؛ واربعة من كل من الاسكندرية ، اكسفرد ؛ وثلاثة من سانتون ، كمبريدج ،

كوپنهاغ ، ليون ، نابولي ، هارفرد ، واثنان من أنكرة ، بانكوك ، بروكلين ، بلتيمور ، پراغ ، تولوز ، ستراسبورغ ، طهران ، فنوم — پنه ، فيلادلفيا ، الكرنك ، كلكوتا ، لاڤاليت ، لوڤن ، لياج ، هانوبي . وتكلم استاذ واحد من كل من المدن التالية : إدنبورغ ، استانبول ، إڤلي ، أكسفورد ، أمرشام ، باتافيا ، برشلونه ، بركلي ، بريتون ، بغداد ، بوردو ، بومباي ، پاكين ، پونا ، تريسا ، تلوزغ ، جنيف ، دلفت ، دلهي ، ديجون ، سڤاره ، سنسيناتي ، شنغاي ، شنغتو ، شوشن ، شيكاغو ، صوفيا ، غاند ، فلوشينغ (نيويورك) ، الڤاتيكان ، كابل ، كازابلانكا (الدار البيضاء) ، كراكوڤية ، مالين ، مانشستر ، مانيانس ، مدراس ، مدريد ، واشنطون .

يظهر من هذا التعداد ان مدينتنا ساهمت بدور لا بأس به في هذا المؤتمر . وكان جميع الذين تكلموا من اساتذتها ينتمون الى معهد الآداب الشرقية التابع لجامعتنا .

ثم يرى المطالع اي تنوع في جنسيات المحاضرين ، وبيئاتهم ، واي اختلاف في ثقافاتهم وآرائهم ، يضمون ذلك في خدمة العلوم الاستشراقية ، وبالتالي في سبيل السعي الى مزيد التعارف بين الشعوب . ولعل نظرة شاملة سريعة على اهم ما أُلقي من محاضرات في مختلف الشعب توضح لنا بصورة أجلى هذا العمل المشترك :

١ – علم الشؤون المصرية

القي في هذه الشعبة ٤٣ محاضرة كانت في اكثرها تجلو نقاطاً خاصة ، او تناقش بعض الاكتشافات الحديثة . وقد يكون اهمها بحث الاستاذ كاڤينياك (E. Cavaignac) ، من باريس ، تعليقاً على مناقشة تهم الشعب الثلاث الاولى ، اي الدروس المصرية والسامية والاشورية ، وهي مقاييس التوقيت في الشرق الادنى القديم . وبحث الاستاذ ويل (R. Weill) من باريس ايضاً ، في تحدد السلطة الملكية في مصر المجزأة على بعض العهود الفرعونية .

ومحاضرة الاستاذ كونتز (Ch. Kuentz) من نزلاء القاهرة ، في العمى من حيث انه عقاب إلهي في مصر القديمة ، وبحث الاستاذ هيكمان (H. Hickman)

من نزلاء القاهرة كذلك ، في حالة الدروس الحاضرة المتعلقة بادوات الموسيقى عند المصريين . وكان من نصيب الحفريات والاعمال الأثرية محاضرتان القى الاولى منها الاستاذ شفرييه (H. Chevrier) من نزلاء الكرنك ، عن حالة الاعمال الأثرية في الكرنك ، والثانية الاستاذ زكي يوسف سعد ، من القاهرة ، عن الحفريات الملكية في حلوان ، وهي الكاشفة عن مدافن الدولة الاولى والدولة الثانية .

٣ – الدروس السامية

اما الدروس السامية فقد تناولت محاضراتها السبع والعشرون موضوعات مهمة عرض اكثرها نظرات شاملة على تطور الدروس السامية في مختلف الدول . ولعل من اهمها بحث الاستاذ موسكاتي (Moscati) ، من رومة ، في تقدم هذه الدروس في ايطالية منذ السنة ١٩٣٩ . وقد نشر الاستاذ موسكاتي مؤخرا مؤلفا جامعا في تاريخ الشعوب السامية ومدنياتها . وبحث الاستاذ ريكمنس (Ryckmans) من أوثن ، بشأن درس الرُقُم السامية الجنوبية في العشر السنوات الاخيرة . وبحثُ الاب فليش (Fleisch) من معهد الآداب الشرقية في جامعتنا ، وموضوعه : صيغة الفعل في السامية المشتركة وتطوره في اللغات السامية القديمة .

والقى الاستاذ ألبرايت (Albright) ، من بلتيمور ، بحثا قيما في رقم سينا وتطور الابجدية . وكذلك القول عن درس الآنسة هردنر (Herdner) من باريس ، في الانشودة الثالثة من ملاحم راس شمرا . وبحث الاستاذ روبرتسون (Robertson) من مانشستر ، في ترتيب الحروف الابجدية السامية واسمائها ، وفائدة ذلك في حل مشكلة اصل الابجدية .

ومما يجدر بالذكر ، في دروس هذه الشعبة ، بحث الاستاذ لفين (Leveen) ، من لندن ، في رقيم فنيقي اكتُشف حديثاً في الاناضول . وبحث الاب ستاركي (Starcky) من باريس – وهو من عرفناه محاضرا في معهد الآداب الشرقية – في اقدم الرقم الثمودية ، وهي لم تُنشر بعد . وبحث الاستاذ لوونغر (Löwinger) من بودابست ، عن المخطوطات العبرانية واليهودية – العربية في بلاد المجر .

وفي هذه الشعبة القى الامير موريس شهاب ، مدير مصلحة الآثار ، واستاذ التاريخ القديم في معهد الآداب الشرقية ، نظرة شاملة على الاعمال الاثرية في لبنان من ١٩٤٥–١٩٤٨ . ووصف الاستاذ غلوك (Glueck) ، من سنسيناتي ، الارتياد الاثري في شرقي الاردن . وبحث الاستاذ جورجيف (Georgiev) من صوفيا ، عن اصل الفلسطينيين . واشار الاستاذ بيغنيو (Béguinot) ، من نابولي ، الى رقم مكتشفة في طرابلس الغرب بحروف لاتينية وبلغة مجهولة .

٣ – علم الشؤون الاشورية

وكان من نصيب الشؤون الاشورية ١٦ محاضرة تناول فيها الاستاذ غوتز (Goetze) ، المقيم في بغداد ، شرائع إشنونا بدرس دقيق ، كما بحث الاستاذ كلما (Klima) ، من براغ ، في حق البنت الارثي في شرع بابل القديمة . وفصّل الاب شارل جان ، من باريس ، احكام الجيش في مملكة ماري .

وبحث الاستاذ گاستر (Gaster) ، من فيلادلفيا ، الموضوعات الفولكلورية في الخرافات القديمة في الشرق الادنى . ولعلّ اهم هذه الابحاث المدخل والنتيجة في مناقشة اساليب علوم الاشوريات وتنظيمها للاستاذ لابا (Labat) من باريس .

اما الشعبة الرابعة فقد قسمت فرعين : فرع الدروس الايرانية . وفرع الدروس التركية

٤ – الدروس الايرانية

اشتملت على ١٤ محاضرة من اهمها حديث الاستاذ خشتريان (Khatchatrian) ، من باريس ، في تطوّر المنزل الفارسي وبحث الاستاذ ايسابال (Essabal) ، من باريس ايضاً ، في ديانة الارمن السابقة للعهد الايراني . والدرس اللغوي الذي القاه الاستاذ تليغدي (Telegdi) ، من بوداپست ، في الدورات التعبيرية المسماة « بالافعال المركّبة » في اللغة الفارسية .

وقدّم الاستاذ باليارو (Bagliuro) ، من رومة ، آراء واعتبارات شتى في

شرع الساسانيين . كما تناول الاستاذ نيكيتين (Nikitine) ، من باريس ، الموضوعات الاجتماعية في الادب الفارسي المعاصر .

وكان للاستاذ مينورسكي (Minorsky) من كمبريدج ، ان يعرض الدروس التاريخية في بلاد فارس منذ ١٩٣٥ ، فلخصها في بحث جامع .

٤ – الدروس التركية

اما الدروس التركية فخُص بها ١١ محاضرة تناول اهمها نظام الاسماء في الشعوب التركية الاستاذ نيميت (Németh) من بودابست . ونذكر منها حديث الاستاذ طوغان (Togan) ، من استانبول ، عن ملحمة أزبكية من القرن السابع عشر اكتشفت مؤخرًا . ودرس القبائل التركية في الفتح السلجوقي الاستاذ كاهن (Cahen) ، من ستراسبورغ . وخص الاستاذ بومباشي (Bombaci) من نابولي ، درسه بناحية تاريخية فاشار الى الشهادات التركية في محفوظات دولة البندقية .

اما الدروس الهندية والهندوصينية والاندونيسية ، والصينية . فقد كثرت فيها الابحاث (٦٢ محاضرة) مما تضيق هذه العجالة عن استيعابه فرأينا ان نكتفي بالاشارة الى اهمها :

٥ – علم الشؤون الهندية (٢٣ محاضرة) .

الاساتذة :

لاموت (Lamotte) ، لوفن : في نقد التفسير في المذهب البوذي .

شاطرجي (Chatterji) ، دلهي : في ترجمة عربية قديمة لتاريخ المهابهاراتا .

الآنسة لالو (Lalou) ، باريس : طرق الميت في معتقدات آسية العليا .

٦ – الدروس الهندوصينية والاندونيسية (٢٤ محاضرة)

الاساتذة :

ليفي (Lévy) ، باريس : في شخصية بطل المقترحات الهندية في الشرق الاقصى .

مارتيني (Martini) ، فنوم – پنه : على هامش الرامايانا الكامبوجية .

لنغات (Lingat) ، سايغون : تمثل الشرع الهندي في بعض مناطق الهند الصينية .

برنار ميتر (Bernard - Maitre) ، شانغـاي : دخول العلوم الغربية في بلاد انام في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

غاسپاردون (Gaspardone) ، باريس : لغات الادب الاتامي .

٧ – علم الشؤون الصينية (١٥ محاضرة)

الاساتذة :

هنتز (Hentze) تريسا : رأي في دلالة بعض الاشكال الصينية من التي لم تحل بعد .

إليسييف (Elisséef) ، هرفرد : دروس لغات الشرق الاقصى في الولايات المتحدة مدة الحرب ١٩٤١ – ١٩٤٥ .

ڤاكا (Vacca) ، رومة : اول النصوص الصينية المطبوعة في اوربة سنة ١٦٥٨ .

هودريكور (Haudricour) ، هانوي : كيف وصلت معرفة الحديد المصبوب من الصين القديمة الى اوربة في القرون الوسطى .

٨ – الاسلاميات

هي شعبة واسعة متنوّعة الابحاث . وقد لا نخطئ اذا قلنا انها اهم شعب المؤتمر بالنسبة الينا ، مع ما يليها من شعبة الشرق والغرب المستحدثة . تناولت الدروس فيها ٥٥ محاضرة . ولما كان من المتعذر ان تُلقى في قاعة واحدة ، محصورة في اسبوع واحد ، قُسمت الشعبة اربعة فروع :

١ – القرآن والعلوم الفقهية

أُلقي في هذا الفرع ستّ محاضرات كان من اهمها تقييم جديد للاحاديث الاسلامية ، عرضه الدكتور يوسف شخت (Schacht) من اساتذة اكسفرد اليوم ، وهو ذو اختصاص عريق في هذه الابحاث ، تقدّم له محاضرات في الفقه الاسلامي في جامعة فؤاد الأول بالقاهرة قبل الحرب العالمية الاخيرة .

وفي هذا الفرع تكلّم الاستاذ شترن Stern ، من اورشليم ، عارضاً تفسيراً جديداً لنصّين من نصوص القرآن . ولا بدّ من ذكر بحث للاستاذ طوران (Turan) من اساتذة أنكرة ، تبسّط فيه في ذكر أحكام الزراعة في تركية على عهد السلاجقة .

ب - التاريخ والادب والفلسفة

خُصَّ بهذا الفرع ستٌّ وعشرون محاضرة حملت في اكثرها فوائد جمّة، وملاحظات جديرة بالاعتبار.

كان منها في باب التاريخ بحث الاستاذ حسن ابراهيم حسن، من القاهرة، في الفاطميين والامويين في القرن الرابع للهجرة وبحث للاستاذ فيشل (Fischel) في ابن خلدون وتيمورلنك. وآراء وتعليقات الاستاذ غاتو (Gateau)، من رباط، على رحلة ابن جبير وما يُستفاد منها لتاريخ الملاحة في البحر المتوسط، في القرن الثاني عشر.

وفي هذا الباب القى كاتب هذه السطور محاضرته في ديوان المعلم نقولا الترك من حيث انه شاهدٌ على حكم الامير بشير الكبير.[1]

وافاد الادب انجاناً متنوعة من عرض شخصيّة حفصة بنت الحاج الشاعرة الغرناطيـة للاستاذ جياكومو (Giacomo) من رباط؛ الى التوسع في الشعر السياسي على عهد خلافة قرطبة للاستاذ غرسيا غومس (Garcia Gomez) من مدريد؛ الى درس فنّ الحوار في الشعر العربي للاستاذ پيريس (Pérès) من ألجه؛ الى البحث في صحة نسبة «يتيمة السلطان» لابن المقنّع الاستاذ ريتسيتانو (Rizzitano) من رومة. وليس هناك ما ينفي نسبة «اليتيمة» ولا ما يثبتها بوضوح. ولكن اسلوبها لا يختلف كثيراً عن اسلوب «الادب الصغير» و«الادب الكبير»، على انها لا تظهر مترجمةً. والجدير بالذكر ان صاحبها بدل ان يجعل الايمان وكناً وسنداً للاخلاقيات، يجعل الاخلاقيات سنداً للايمان. وتكلم الاستاذ وَجدا (Vajda) من باريس، عن قسم النصوص العربية في معهد «تحريات النصوص وتاريخها» في باريس، وما يقوم به من جهود في ضبط هذه المخلّفات القديمة وإعدادها للنشر.

وكان نصيب اللغة من هذه الابحاث حديث الدكتور طه حسين عن المعجم العربي الكبير الذي يقوم بوضعه مجمع فؤاد الاول للغة العربية في القاهرة.

---

١) يظهر هذا الديوان قريباً جداً، في منشورات مديرية الآثار: «نصوص ووثائق تاريخية» محتوياً على نحو خمسمائة صفحة مع الجداول والفهارس، ومقدمتين عربية وفرنسية.

وقد تبسّط الدكتور في شوائب المعاجم القديمة بما اصبح معروفاً لدى الخاص والعام . ثم افاض في مزايا المعجم المُقبل على انه فتح جديد بالعربية سيكون خلاصة ابحاث طويلة عميقة يقوم بها الاعضاء من عدة سنوات فيجمعون ويقربلون ويرتّبون ، حتى يخرجوا للعالم العربي أتمّ معجم واحدثه ، يتناول المفردات العربية الاصيلة والدخيلة المستعملة حتى عصرنا ، مع الاشارة الى اصول مآخذها من اللغات الاجنبية السامية والاوربية ، كل ذلك على اسلوب حديث يخرج من الاساليب المستعملة في المعاجم العربية حتى اليوم ، وعلى طريقة علمية تفيد من تقدّم الدروس اللغوية في ايامنا .

هذا ما أمّلنا به الدكتور ، واضعاً بين يدي الساهرين مثلاً من عمل لجنة « المعجم الكبير » . وهو كراس اول خصّته اللجنة « بحرف الهمزة » ، وهي ترى ان تكون الهمزة حرفاً على غرار غيره من الحروف ذا صورة واحدة مع اختلاف الحركات . فتناولت ، في ٢٦ صفحة كبيرة ، على عمودين ، لا مفردات اللغة المبدوءة بالهمزة ، بل اقاويل القدماء والمتأخرين وآخر هؤلاء المتأخرين لا يتجاوز زمنه القرن الوسطى الى ما بعدها — في رسم الهمزة ، واقسامها واماكنها ، وحركتها ، وانباتها وسقوطها ، وتحقيقها وتخفيفها ، وتحويلها ، وادغامها وفكّها ، وهمزة ما ليس بهمزة ، واجتماع الهمزتين ، واوجه الهمزة ، وذكر اللهجات في الهمزة ، مسرودة دون نقد ولا تمحيص ، فيها الاصل الذي يُعتمد عليه ، وفيها الغثّ التافه لا فائدة منه الّا ملء الفراغ . ثم هي تُعرّض تارة في إطار من الأهلّة او المزدوجات ، وطوراً حرّة طليقة حتى ليختلط القول بالقول ، والشاهد بالتعليق . ولم يكد اصحاب الاختصاص يمعنون النظر في هذه « الباكورة » من ثمار المعجم الكبير ، حتى تلاشى اكثر تلك الآمال التي شادها الدكتور بخطابه البشير .

وحديث معجمي ثانٍ سمعناه الاستاذ حجار من القاهرة ، عرض فيه قاموساً جديداً عربياً — فرنسياً رتّبه على حروف الابجدية وفقاً لاوائل الالفاظ الظاهرة في صيغها الحالية ، اي دون ما نظر الى اصل المجرّد ، وهكذا يرى المطالع « الاسترحام » مثلاً و« الاستغلال » و« الاستقلال » متجاورة في حرف الالف ، لا

في « الراء » و« الغين » و « القاف » وهو تجدّد جريء قد يناقش العلماء مدة طويلة — كما فعلوا في تلك الجلسة — في فائدته وصلاحه . الّا ان المؤلف لم تبلغ به الجرأة الى اتباع التجديد في اختيار المفردات ، فلم يصل بمعجمه الى العصر الحاضر — ولا فائدة من معجم لا يدوّن مفردات اللسان المتطوّر . بها كان من تجديد الطريقة — انما وقف به عند الحدّ الذي تقف عنده معاجم القدماء ، فدوّن ، على قوله ، ٩٤ الف لفظة لا يتجاوز بها محيط الفيروزابادي!!

اما الفلسفة وما اليها من علوم تتّصل بالتصوّف والنفسانيات فقد كان لبعض الاعضاء فيها جولات موفّقة نشير منها الى بحث الاستاذ كوربن (Corbin) من طهران ، في نهضة التصوّف في إيران في القرن السابع عشر ؛ والى تحريات الاستاذ كامل حسين ، من القاهرة ، عن الافكار الاسماعيلية في الشعر المصري على عهد الفاطميين ، والى ما عرضه الاستاذ عفيفي ، من الاسكندرية ، من مظاهر تأثير الآداب الباطنية المُغلقة في التفكير الاسلامي . وقد حاول الاستاذ خلف الله ، من الاسكندرية ، ان يعرض نظرية عبد القاهر الجرجاني في كتابه « أسرار البلاغة » معرض المحاولات النفسانيـة . كما ان الاستاذ غبريالي (Gabrieli) من رومة ، تكلّم عن ملخّص عربي « لشرائع » افلاطون منسوب الى الفارابي .

ج — اللهجات

وجُمعت في الفرع الثالث تسع محاضرات تتعلّق باللهجات ، ولاسيما ما تناول منها ألسُن افريقية الشمالية . نشير منها الى محاضرة الاستاذ باسيه (Basset) من باريس ، في تطوّر الدروس البربريّة منذ مؤتمر بروسيل ؛ وهو المؤتمر الدولي السابق للمستشرقين الذي عُقد في عاصمة بلجيكة سنة ١٩٣٨ ؛ والى محاضرة الاستاذ برونو (Brunot) ، من رباط ، وموضوعها التعابير الفرنسوية الدخيلة في اللهجات العربية المغربية . ولا يخفى ان في تلك اللهجات كثيرًا من العبارات الفرنسية ، مفردات وصيغاً ، دخلت بدخول مستعمليها ، او بطريق التجارة وتنقّلات الجيوش . وامثل من افكهها لفظة « الزلاميط » التي تُستعمل دلالةً على عيدان الكبريت ، منحوتةً من (les allumettes) .

ونشير كذلك الى بحث الاستاذ رو (Roux) في المخطوطات العربية بالحرف العربي في جنوبي – غربي مراكش . والى بحث الاستاذ أكويلينا (Aquilina) من لاقاليت ، في البقايا التاريخية في اللغة المالطية .

د – الفنون

وكان من نصيب الفنون – في هذا القسم الاسلامي من الابحاث الشرقية – اربعة عشر حديثاً تناولت مختلف المظاهر الفنية من العمارة حتى النسيج . نشير منها ، في الموضوع الاخير ، الى درس الآنسة داي (Day) ، من واشنطون ، في بعض الاقمشة الاسلامية المحفوظة في متحف النسيج . اما التصوير فقد عالجه الاستاذ غراي (Gray) ، من لندن ، فألقى نوراً جديداً على التصوير الفارسي في القرن الرابع عشر ، مستنداً الى مخطوطة لم تُنشر بعد لكتاب « جامع التواريخ » من مكتبة الجمعية الاسيوية الملكية في بنغال . وميّز الاستاذ بشر فارس ، من القاهرة ، بين نزعتين ، شامية وايرانية ، في المدرسة البغدادية للتصوير المُنعَم . وكان اوفر الموضوعات الفنية حظاً من الدرس العمارة ، ولاسيما القديمة منها . فدرس الاستاذ غويتين (Goitein) ، من فلسطين ، الظروف التاريخية التي اكتنفت بناء قبة الصخرة في اورشليم . وعرض الاستاذ تيراس (Terrasse) من رباط ، لآثار المرابطين في مراكش . وتناول الاستاذ بيرمي (Bahrami) ، من طهران ، نصّين تاريخيّين يتعلقان ببناء مسجد الإمام الرضى بالمشهد . واشار الاستاذ شلومبرجيه (Schlumberger) من كابل ، الى اكتشاف قصر اميري قد يكون غزنوياً ، في افغانستان . وفصّل الامير موريس شهاب خصائص القصور اللبنانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في دير القمر وبيت الدين خاصة .

وكان للاستاذين مارسيه (G. Marçais) من الجيه ، وشتيرن (H. Stern) من باريس ، ان يدرسا نظرياً مظاهر الفن الاسلامي فابديا ملاحظات جديرة بالاعتبار . خاض الاستاذ مارسيه في خصائص الفن الاسلامي من حيث تأثره بالمحيط ، وخضوعه للتقليد المحلي فاشار ، في ذلك ، الى ان هندسة المسجد في بلاد الشام مثلاً تظهر اقرب الى هندسة الكنيسة الشامية

الملكية (البازيليك) منها الى هندسة المسجد المغربي او الايراني وحصر الاستاذ شتيرن بحثه في الفن الاموي مميزًا فيه بين الآثار الدينية ، والمنشآت الدنيوية ، مشددًا على انه ، وان اظهرت الحفريات - في قصر الحير وقصر المفجر وغيرهما - تصاوير ورسوماً للكائنات الحية حتى البشر ، دالةً على ان فنّاني الامويين لم يكونوا يتجنّبون تمثيل ما له روح ، خلافاً للاعتقاد السائد بين الباحثين حتى السنوات الاخيرة ، الّا ان الحفريات لم تكشف بعد ما يدلّ على ان هذه المادة تشمل المنشآت الدينية انما لا يزال صحيحاً القول بان الفنانين المسلمين منذ العهد الاموي تجنّبوا تمثيل الكائنات الحية في المباني الدينية . ولا نعرف مسجداً ظهر في زخارفه ، اية كانت ، ما يجرح هذا القول . حتى ان قصر المشتى للوليد ابن يزيد الذي أُطلقت فيه يد الفنانين تمثل ما تشاء نحتاً وحفراً وتخريماً ، داخلاً وخارجاً ، نراه يتخلّى عن تمثيل الكائنات الحية ، في القسم من الواجهة القائم امام المسجد ، فيستبدل بها الزخارف الهندسية والنباتية . واذاً فيظلّ القول القديم على صحّته ، شرط ان نحصر موضوعه بالفنّ الديني .

٩ - الشرق والغرب

هذه الشعبة من المحدثات في مؤتمر المستشرقين دلّت على اهميتها وعلى ما كان من ضرورة احداثها ، المحاضراتُ والابحاث القيّمة التي أُلقيت في المواضيع المتشعّبة المشيرة الى ما بين الشرق والغرب من صلات في مختلف ميادين النشاط البشري ، وقد بلغت ٢٤ محاضرةً يكفي سرد عناوين بعضها دلالةً على فوائدها المتنوّعة :

شُوَب (R. Schwab) ، باريس : الثقافة الانسانية والآداب الشرقية .

لوروى (Leroy) ، باريس : تصوير الايقونات في الكنائس السريانية اللغة .

الآنسة دير نرسيسيان ، هرتفرد : الشرق والغرب في الفن الارمني في القرن الثالث عشر .

كِسپيل (Quispel) ، ليدن : تصوّر العالم في نظر الفيلسوف الاغنوسي الاسكندري بازيليد .

دوريس (Doresse) ، باريس : البردي الاغنوسي في المتحف القبطي .

تيشير (Teicher) ، لندن : الفلسفة اليهودية في القرون الوسطى ، ومركزها في تاريخ الفكر .

برنارد (Bernard) : المؤلفات الغربية في اليابان في القرنين السادس عشر والسابع عشر .

پويش (Puech) ، باريس : تعليم ديني مانوي صيني لم يطبع بعد (مخطوطة المتحف البريطاني) .

درفيليه (Dauvillier) ، تولوز : تبشير بلاد التبت بواسطة ابناء الكنيسة الكلدانية ، ومسألة العلاقات بين البوذية والمسيحية .

آبل (Abel) ، بروسيل : امثال حكماء اليونان في تآليف الشهرستاني .

سفورونوس (Svoronos) ، باريس : مراسلات قناصل فرنسة من حيث كونها مصدرًا لتاريخ الشرق .

الاب مسيريان (Mecerian) ، بيروت : سابق مدوّني التشريع في ارمينية .

سيدون (Saydon) ، لافاييت : الترجمة العربية القبطية للكتاب المقدس .

١٠ – الانثروبولوجية

وهذه ايضاً من المستحدثات ألقي فيها ١٥ محاضرة في ابحاث لم يستوعبها اطار الشعب السابقة وكان من اهمها بحث الاستاذ ديبونو (Debono) ، من القاهرة ، في اكتشاف حضارة جديدة سابقة لزمن السلالات (او الدول) في ضواحي القاهرة (في المعري قرب حلوان) ، وبحث الاستاذ دي ڤو (de Vaux) ، من اورشليم ، في الحضارة الانيوليتية في فلسطين ؛ وبحث الاستاذ احمد فخري ، من القاهرة ، في اثريات اليمن وقد تكلم الاستاذ لوروا – غورهان (Leroi-Gourhan) ، من باريس ، في الاسكيمو وآسية . وعرض الاستاذ غريول (Griaule) ، من باريس ، شرحاً لعلامات ابراج الكواكب في ميتافيزيقية سودانية .

مقررات المؤتمر

ويخص الجلسة الاخيرة بالتصويت على القرارات وهي عديدة ولعل اهمها ما يلي :

١ — يكون الاجتماع المقبل — سنة ١٩٥١ — في استانبول .

وكان الكثير من مستشرقي فرنسة وايطالية واسبانية مع بعض الاميركان يميلون الى بيروت . الاّ ان مندوب الحكومة اللبنانية ، الامير موريس شهاب ، لم يكن لديه تفويض بدعوتهم . وقد تقدّمت الدعوات من سفير مصر المفوّض لعقد المؤتمر بالقاهرة ، ومن رئيس الوفد الهندي لعقده في نيودلهي ، ومن رئيس الوفد الاسوجي لعقده في استوكهولم او أبسالا . ثم من رئيس الوفد التركي لعقده في استانبول . فقُبلت هذه الدعوة الاخيرة .

٢ — قبول اقتراح الاستاذ غودفروى ديمومبين (Godefroy Desmombynes) بانشاء مجموعة واسعة لمصادر الدروس الشرقية (*Bibliographie Orientale*) وقد اشار المقترح — الذي اقعده تقدم السن عن قراءة الاقتراح بنفسه — الى انه في المؤتمر الحادي عشر المعقود في باريس سنة ١٨٩٧ ، أقر مشروع « دائرة المعارف الاسلامية » ، ورجا ان تقر اليوم هذا المشروع . فكان لهما شاء .

٣ — اعادة النظر في « دائرة المعارف الاسلامية » باعداد طبعة جديدة .

٤ — تأليف دائرة معارف للعلومات والمصطلحات المتعلقة بالفكر الهندي القديم .

٥ — درس المخطوطات التبتية .

٦ — تقريظ احدى المدارس الهندية لتعليمها اللغة السانسكريتة .

٧ — تأليف تاريخ الاستشراق .

٨ — احداث شعبة خاصة بالشرق المسيحي في المؤتمر المقبل .

٩ — احداث شعبة خاصة بدرس الشؤون الارمنية .

١٠ — تأليف معجم فارسي — اوربي .

١١ — نشر المحفوظات الرسمية للامبراطورية العثمانية .

١٢ – وضع فهرس لمحفوظات البندقية المتعلقة بالدولة العثمانية .

١٣ – السعي لدى الحكومات ولدى جامعة الامم المتحدة لرفع العراقيل الجمركية امام الكتب .

١٤ – جعل اللغة العربية لغة ثالثة – مع الفرنسية والانكليزية – في المؤتمر المقبل ، وكذلك اللغة التركية .

◈

هذا اهم ما جرى في مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرين . وان كان من عبرة نستخرجها ، ومن امثولة نفيدها فاننا نقول :

يخرج المساهم في مثل هذا المؤتمر ، وقد تضاءل في نظره قول شكسبير المتشامخ : « الغرب غرب والشرق شرق ، وان يلتقيا . » فيرد عليه بتواضع وصواب : بل يلتقيان على صعيد التفاهم المتبادل في سبيل التفتيش عن الحقيقة الواحدة .